دراسة لبعض مشكلات تدريس النحو العربى ومحاولات تطويره

الدكتور
محمد منير مرسى *

تتعالى الصيحات من حين لآخر بالشكوى من ضعف تعليم العربية فى مدارسنا. وترتفع أصابع الاتهام مشيرة الى المنهج المدرسى أو الكتاب أو المعلم أو الازدواج اللغوى بين العامية والفصحى أو غير ذلك من الأسباب المتصلة بالموضوع. وعلى الرغم من قيام عدة محاولات لتطوير تدريس لغتنا القومية فان المشكلة مازالت قائمة وربما تتجلى بصورة أخطر فى ضعف ان لم يكن فى عجزابنائنا عن التحدث أو التعبير أو القراءة أو الكتابة بلغة عربية سليمة بيسر وسهولة. وأستميح اخوانى عذرا اذا ما قلت ان هذا الضعف يمتد الى المشتغلين بتعليم العربية والقائمين على تدريس أصولها وعلومها. وقد عبر ابن خلدون أحسن تعبير عن ذلك منذ مايقرب من ستة قرون عندما قال: « لذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى أخيه أوذى مودته أوشكوى ظلامة أوقصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى » وبعكس ذلك « نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لايحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور ولاشيئا من قوانين صناعة العربية. ثم يواصل القول « فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة ».

ان اللغة فى نظر ابن خلدون ملكة تتأتى عن طريق كثرة حفظ كلام العرب وأشعارهم والتمرن على النسج على منوالهم حتى يصبح اللسان العربى سليقة وهوفى ذلك يقول:

« ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا فى سائر فنونهم حتى يتنزل

---

* استاذ التربية بجامعة قطر ومدير مركز البحوث التربوية

لكثـرة حفظـه لكـلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم . ثم يتصـرف بعـد ذلـك فى التعبـير عما فى ضميـره على حسب عبـارتهم وتأليف كلماتهم ماوعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتها رسوخا وقوة » .

ويـوضـح أبن خلدون الأسباب التاريخية لوضع أصول النحو وقواعده وهى تتمثل فى تفشى اللحن بين العناصر غير العربية الأصل والخشية من فساد ملكة اللسان العربى ومن تحريف قراءة القـرآن . وفى ذلـك يقـول : « وخشى أهـل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكـة رأسـا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانـين لتلك الملكـة مطـردة شبـه الكليـات والقـواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشياء بالأشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع :

وهكـذا نشأ علم النحـو. ومن هذه النشأة التاريخية يتضح لنا أن تعلم النحو ليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة لتقويم اللسان العربى . ويقارن أبن خلدون بين طريقة أهل الأنـدلس وطـريقـة أهـل المغرب وافريقية . فيمتدح الأولى لأنها أقرب الى تحصيل ملكة اللسان العربى وفى ذلك يقول : « أهل صناعة العربية فى الأندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه فى الكثـير من الـتراكيب فى مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتـدىء كثـير من الملكة أثناء التعليم فتنقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها .

وينتقد الطريقة الثانية وهى طريقة أهل المغرب وافريقية فيقول :

« وأما من سواهم من أهل المغرب وأفريقية وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثـا وقطعـوا النظـر عن التفقـه فى كلام العـرب ، الا أن أعربوا شاهدا أو رجحوا مذهبـا من جهـة الاقتضـاء الـذهنى لامن جهة محامل اللسان وتراكيبه وأصبحت صناعة العـربيـة كأنهـا من جملة قوانـين المنطق العقليـة أو الجـدل ، وبعـدت عن مناحى اللسان وتركيبه وتمييز أساليبه وغفلتهم عن المران فى ذلك للمتعلم ، فهو من أحسن ما تفيده الملكة فى اللسـان . وتلك القـوانين انما هى وسائل للتعليم ولكنهم أجروها على غير ماقصد بها وأصاروها علما بحتا وبعدوا عن ثمرتها » .

بيـد أن العصـور التى تلت عصـر ابن خلدون كانت عصـور تدهـور وانحطـاط بالنسبة للعالم العربى . وكان من الطبيعى أن تتدهور اللغة والثقافة والفكر وانعكس ذلك على تعليم النحـو وبـدأ التكلف واضحـا فى تعليمه وكان من مظاهر هذا التكلف ظهور المنظومات التعليمية التى تعالج قواعد النحو مثل ألفية ابن مالك والأجرومية . وكان على الدارس أن يحفظ هذه المنظومات عن ظهر قلب أذ أصبح حفظها غاية فى ذاتها . وهكذا انقلب الوضع فى تدريس النحو فبعد أن كان الهدف منه وظيفيا هو تقويم اللسان أصبح الهدف منه تعليميا هو حفظ القواعد النحوية وهكذا أصبح تعليم النحو غاية فى ذاته وهو اتجـاه أسـاء الى تدريس النحـو طيلة القرون التالية حتى العصر الحديث بل ومازال هذا الاتجاه ماثلا حتى الآن لدى كثير من المشتغلين بتعليم العربية وان تظاهروا بغير ذلك .

وكـان من الطبيعى أن تظهـر فى العصـور الحديثة محاولات للنهوض باللغة والأدب ومنها النهوض بتعليم النحو. واتجهت هذه المحاولات الى الماضى الزاهر ومحاكاة القدماء فى لغتهم وأسـاليبهم ففى الأدب نجـد محمـود سامى البـارودى يحاكى شعـراء العصـر العبـاسى من أمثـال البحـترى وأبى تمام وغـيرهما . ونجـد أيضا الشيخ حسين المرصفى يؤلف كتاب « الوسيلة الأدبية » وهو موسوعة لغوية وأدبية وكان الهدف منه تعليميا اذ أنه جمع فيه بين شتى فنون اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب .

وكان من بين المحاولات الأولى الجادة فى تعليم النحو العربى محاولة حفنى ناصف عندما ألف سنة ١٩٠٦ دروسا فى النحو والصرف والبلاغة وجمعها فى كتاب واحد صغير الحجم عظيم القـدر سماه « قواعـد اللغـة العـربية لتلاميذ المدارس الثانوية » . وقد قسم الكتاب حسب أنواع الكلام مراعاة للتيسير على المتعلم فقسمه الى ثلاثة أبواب : باب للفعـل وبـاب للاسم وبـاب للحرف وفى عرضة للقواعد النحوية نجد أنه يسرد القاعده ويشـرحهـا ويـورد الشواهد الأدبية البليغة التى يحاكى فيها القدماء للتدليل عليها مبتعدا بذلـك عن الشـواهـد النحـويـة المتكلفة مثل ضرب زيد عمر أو ماشبه ذلك . وميزة هذا الكتاب أنه محاولة جادة لتلخيص قواعد النحو العربى فى صورة مبسطة تيسر على المتعلم تعلمهـا دون اغـراقـه بالتأويـلات والتعليـلات مع الاستعـانة بأمثلة وشواهد من القرآن الكـريم والامثـال وفصيـح كلام العرب . وهى ناحية هامة فى تعلم اللغة سبق أن اكدها ابن خلدون وافتقرت اليها كثير من كتب تعليم النحو فى العصور الحديثة .

وكـانت محاولات اصـلاح النحـو جزءا من حركـة عامـة ترمى الى النهوض باللغة العربية . فقد كان هناك شعور بأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر وأنها تحتاج الى الاصلاح والتطوير .

وأختلطت النبرات والدعوات فمن منصف يدعو الى الاصلاح ومن مغرض يدعو الى العامية أسوة بما حدث فى تركيا عقب ثورة مصطفى كمال أتاتورك ومن ساخط يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية.

ان الدعوة الى العامية ترتبط بمهندس انجليزى عاش فى مصر اسمه وليم ويلكوكس عندما ألقى محاضرة فى يناير ١٨٩٣ فى نادى الازبكية كان موضوعها مثيرا هو: لماذا لاتوجد لدى المصريين قوة الابتكار ؟ زعم فيها أن قوة الابتكار تأتى من قوة الفكر التى يرثها الفرد عن ابيه ومن قوة الخيال التى يرثها عن أمه. وقال أن أهم عائق يمنع المصريين من الابتكار انهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ولو أنهم ألفوا وكتبوا باللغة العامية لصاروا مبتكرين. واستدل على ذلك بأن الانجليز لم يكونوا مبتكرين عندما كانوا يؤلفون باللاتينية فلما اختاروا لغة الفلاحين وكتبوا بها صاروا مبتكرين. وضرب مثالا بشكسبير وبيكون. وقد قام ويلكوكس بترجمة الانجيل الى اللغة العامية المصرية كما ألف كتبا بالعامية المصرية أيضا وكان يوزعها مجانا على الناس. وللاسف أن الدعوة الى العامية رغم مافيها من شر مستطير لايخفى على العيان فانها وجدت آذانا صاغية تستجيب لها. وقد ردد سلامه موسى فى مجلة « الهلال » دعوة « ويلكوكس » الى العامية وأثنى على ويلكوكس كأحد الانجليز المخلصين لمصر شغل بها كثيرا حتى أصبحت همومه مصرية أكثر منها أنجليزية. (١)

وكانت الدعوة الى العامية رد فعل الشبهات التى أثيرت حول قدرة اللغة الفصحى على الوفاء بمتطلبات العصر من ناحية وأنها لغة لاتستخدم فى التخاطب من ناحية أخرى كما كانت أيضا هناك دعوة أخرى مغرضة ترمى الى احلال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية. وهى دعوى سلمت منها البلاد العربية الاسلامية وأثبتت أنها قادرة على تحدى كل محاولات التغريب والتشكيك.

وللأسف ان الدعوى الى استخدام الحروف اللاتينية قد وجدت من ابناء العربية من يناصرها فهذا عبد العزيز باشا فهمى أحد شيوخ مجمع اللغة العربية يقدم الى المجمع فى أوائل شهر مايو سنة ١٩٤٣ اقتراحا بتيسير الكتابة العربية عن طريق استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية.

وكتب أنيس فريحة، استاذ اللغة العربية فى الجامعة الامريكية ببيروت يقول « يطالب بعض الناس بتبنى الحرف اللاتينى تسهيلا للقراءة وتخفيفا لنفقات الطباعة

---

(١) محمد منير مرسى : التربية الاسلامية : أصولها وتطورها فى البلاد العربية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧

ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ولا نرى حلا للكتابة الا بتبنى الحرف اللاتينى وضبط الكلمات فيه مرة واحدة.

وكان دعاة استخدام الحروف اللاتينية هم دعاة استخدام العامية بدل الفصحى وفى ذلك يقول أنيس فريحة أيضا:

« ان الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها وقسوتها ولينها كما تستطيع العامية والدليل ظاهر فانك لاتستطيع أن تقول بالفصحى ماتقوله بالعامية واذا نقلته الى الفصحى أتى قاسيا جافا خلوا من العنصر الانسانى اللصيق باللغة ».

ان من الغريب أن يأتى هدم اللغة الفصحى من أناس تصدوا لخدمتها والعمل على رفعتها. ويبدوا أن هذه الدعوة أختلطت بدعوات أخرى منها تبسيط اللغة العربية من حيث قواعدها وأسلوب كتابتها دون هجرها الى غيرها، والارتقاء باللغة العامية لتقترب من الأدبية الفصحى وقضية تعريب الكلمات الاجنبية العربية، وتقريب الفجوة بين اللغة الفصحى والعامية وتجديد الأدب العربى.

وكان صدى هذه الدعوات المغرضة أننا نجد دعوة تزعمها فتحى زغلول تنادى بالغاء النحو.

ومع اليقظة التربوية والتعليمية ومحاولات الاصلاح التعليمى التى ظهرت فى الربع الثانى من القرن العشرين نجد أن وزارة المعارف المصرية تولى اهتمامها الى اصلاح وتطوير التعليم وكان من بينها بالطبع تطوير تدريس النحو بمدارسها. وكان من اهم المحاولات تلك المحاولة التى سمتها الوزارة التبسيط الجديد للنحو والتى ألفت لها سنة ١٩٣٨ لجنة من كبار الاساتذة هم: الدكتور طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم ومحمد أبو بكر ابراهيم وابراهيم مصطفى وعبد المجيد الشافعى. وحدد هذا القرار الوزارى الخاص بتشكيل لجنة مهمتها فى البحث فى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ووضع الأسس التى ترى اللجنة أنه ينبغى أن تقوم قواعد النحو والصرف عليها... » وقد قدمت اللجنة رأيها فى تقرير طبعته الوزارة وقد جاء فى هذا التقرير: « بما أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيما أخرجت من الكتب وكان لهذا العمل نتيجة مرضية وبما أن هذه الخطوة التى خطتها الوزارة فى الماضى لم تكن كافية اذ انه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو الصرف والبلاغة لاتزال قائمة وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهدا كبيرا ووقتا طويلا فى تعليمها وتعلمها ولايصلون بعد هذا كله

الى نتائج تتفق مع مايصرف من زمن وجهد ». وكان اهم شيء اهتمت به اللجنة هو تقدير العامل الاجتماعى الذى يزيد من صعوبة تعلم العربية وأستعمالها على الوجه الذى رأته اللجنة اذ قالت فى تقريرها (١) » . . . . لأن الشباب لايتعلمون هذه اللغة كما يتعلم الشباب فى الأمم الأخرى لغتهم . . هم لايسمعونها فى البيت وهم لايسمعونها فى البيئة التى تحيط بهم ، ثم هم لايسمعونها فى المدرسة الا أثناء درس اللغة العربية « ثم قالت » . . . ويجب أن نلاحظ أن الشباب الانجليزى أو الفرنسى انمايحسن لغته ويتقن النطق بها والتصرف فيها لأنه يسمعها صحيحة فى البيت وخارج البيت ويسمعها صحيحة فى المدرسة بنوع خاص . . والشباب الفرنسى أو الانجليزى لايسمع اللغة الصحيحة فى درس اللغة الفرنسية أو الانجليزية فحسب ، ولكنه يسمعها فى درس التاريخ والجغرافيا وفى درس الطبيعة والكيمياء وفى درس الرياضة أيضا . ثم لننظر بعد ذلك فى اقتراحات اللجنة الخطيرة ونناقشها .

فقد رأت اللجنة مايأتى : (٢)

١) وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والاعراب المحلى .

٢) عدم التمييز بين علامات اعراب اصلية وأخرى فرعية (أى أن الاسماء الخمسة مثلا مرفوعة بضمة ممدودة ، منصوبة بفتحة ممدودة ، مجرورة بكسرة ممدودة) .

٣) الغاء التفرقة بين علامات الاعراب وعلامات البناء .

٤) ضبط الجملة بأصنافها تحت تقسيم واحد ينتظم الجملة الفعلية والأسمية والجملة الصغيرة والكبيرة معتمدة على المصطلحات المنطقية بدلا من المصطلحات النحوية فوضعت الاصطلاح الآتى : المحدث عنه ، الحديث ثم غيرته باصطلاح منطقى هو : الموضوع والمحمول . أى يكون المبتدأ والفاعل أو نائبه موضوعا ، والخبر أو الفعل محمولا » . ولنبدأ فى مناقشة هذه الآراء ونقدها لنرى مدى ماحققته :

أولا : بالقاء نظرة كلية على الحلول التى وضعتها اللجنة نجد أنها :

أ ـ تناولت حل المشكلة من الناحية الشكلية فقط فهى رأت حذف بعض شكليات النحو ظنا منها أن ذلك تيسير على الطالب كما أنها غيرت بعض المصطلحات النحوية واستبدلت مكانها مصطلحات منطقية . وهذا العمل وان كان فيه شيء من التيسير فانه لايحل المشكلة من أساسها .

---

(١) أمين الخولى ـ مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ـ دار المعرفة ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

ب ـ أن اللجنة بهذا العمل تناقضت مع آرائها السابقة التى تقول بتقدير العامل الاجتماعى ، وقد وضح اغفالها لذلك التقدير حيث انها فصلت فصلا تاما بين النحو وفروع اللغة الباقية من قراءة وتعبير ونصوص ، هذا الفصل هو سبب جوهرى للمشكلة لأن اللغة وحدة عضوية واحدة .

ولننتقل بعد ذلك الى محاولة أخرى قامت بها لجنة أخرى عرفت باسم لجنة « تحرير النحو العربى » وأصدرت كتابا وضعت له هذا العنوان « تحرير النحو العربى » قواعد النحو العربى مع التيسير الذى قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ألفه الأساتذة :

« د . محمود رشدى خاطر ، محمد محمود رضوان ، ابراهيم مصطفى ، محمد احمدبرانق ، محمد احمد المرشدى ، يوسف خليفة نصر ، د . عبد الفتاح شلبى ، محمد شفيق عطا » وقد تحدث أعضاء اللجنة المؤلفون عن أعمال اللجنة السابقة ووصفوا هذا العمل بأن (١) اللجنة السابقة قد غيرت بعض الاصطلاحات النحوية ثم بينت اللجنة أسباب عدم تنفيذ مشروع اللجنة السابقة بأن (٢) تنفيذه كان يثير بعض التردد والخشية ، فان الرجوع عن المألوف أمر غير يسير شديد على من تلقنه ودرسه ثم لقنه . . » كيف توصلت اللجنة الى تقديم مقترحاتها؟ .

أولا : أقيم مؤتمر بالقاهرة حضرة الأساتذة مفتشو اللغة العربية بالمرحلة الاعدادية واستمر من أول يونيه سنه ١٩٥٧ الى الثانى عشر منه تناقش فيه السادة المفتشون ومن اختير معهم من الأساتذة وتداولوا درس هذه الاقتراحات وسبل تنفيذها واتخذ المؤتمر فى ذلك قراراته .

ثانيا : اقيم مؤتمر ثان جمع المدرسين الأوائل فى هذه المدارس لمثل الغاية التى عمل لها المؤتمر الاول وقرر ارتياحه للمنهج الجديد ورغبته فى انجازه .

وقد قالت اللجنة فى مقدمة بيانها : (٣)

« أفضل طريقة لتعلم اللغة وأيسرها وأقربها الى مسايرة الطبيعة هى أن نستمع اليها فنطيل الاستماع ونحاول التحدث بها فتكثر المحاولة ونكل الى موهبة المحاكاة أن تؤدى عملها فى تطويع وتملكها وتيسير التصرف فيها . . .

---

(١) محمود رشدى خاطر وآخرون : تحرير النحو العربى ـ دار المعارف ١٩٥٨ ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦

(٣) نفس المرجع ص ٣ .

والان لنرى ما اتخذته اللجنة من قرارات بشأن ما اسمته « تحرير النحو العربى » .

١) غيرت اصطلاح الركنين الأساسيين فى الجملة الاسمية والجملة الفعلية فاستعملت اصطلاحا بلاغيا قديما هو « المسند والمسند اليه » . فاعتبرت المحدث عنه « المبتدأ فى الجملة الاسمية والفاعل أو نائبه فى الجملة الفعلية » مسندا اليه « واعتبرت الحديث « الخبر والفعل » « مسندا » .

٢) اعتبرت مازاد على الركنين من المنصوبات والمجرورات مكملات . فسمت : التكملة بالمفعول ، التكملة بالاضافة ، التكملة بالحال الخ » هذا كل ماتوصلت اليه لجنة تحرير النحو العربى ط المعارف سنة ١٩٥٨ » . والآن لنناقش مافعلته اللجنة :

١) أدركت لجنة تحرير النحو العربى كما أدركت سابقتها (لجنة تيسير النحو) تقدير العامل الاجتماعى وهو خلق المناخ اللغوى فى الحياة العامة للطالب .

٢) أن اللجنة تناولت حل المشكلة من الناحية الشكلية فقط فهى قد غيرت بعض مصطلحات النحو واستبدلت بها مصطلحات بلاغية فقد فعلت تماما مافعلته لجنة تيسير النحو التى وضعت مصطلحات منطقية ظنتها وسيلة من وسائل التيسير .

٣) أن اللجنة فصلت فصلا تاما بين مادة النحو وسائر فروع اللغة فأغفلت جوانب اللغة الأخرى رغم أنها تعرضت لها نظريا وبذلك لم تزد هذه اللجنة شيئا على مافعلته .

والآن لنرى اثر مقترحات اللجنة فى المجال التطبيقى :

ان طريقة المسند والمسند اليه التى طبقت دراستها فيما بين عامى ١٩٥٧ ، ١٩٦٠ قد كتب لها الفشل وعاد النحو الى ألقابه ومصطلحاته الأولى ومن ذلك نستفيد أن المشكلة ليست مشكلة مصطلحات ومسميات وانما هى مشكلة استعمال اللغة فالنحو وسيلة للتعبير السليم والفهم السليم وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بسائر الفروع الأخرى للغة ، ومن الغريب أن العلامة ابن خلدون قد قرر هذا المبدأ منذ ستة قرون مضت .

وفى سنة ١٩٦٦ أصدرت وزارة التربية والتعليم المصرية المناهج المعدلة فى اللغة العربية .

وقد حددت هذه المناهج الغرض من دروس القواعد بقولها : (١)

« ليست دراسة القواعد غاية مقصودة لذاتها ولكنها وسيلة تعين الدارس على تقويم لسانه وعصمه أسلوبه من اللحن والخطأ » .

---

(١) وزارة التربية والتعليم : المناهج المعدلة فى المرحلة الاعدادية ١٩٦٦ ص ٥٨ .

وقد عرضت المناهج للأساليب التى يمكن عن طريقها تحقيق هذا الغرض.
من أهم هذه الأساليب : (١)

ـ أن تدرس القواعد فى ظل اللغة، وذلك بأن تختار أمثلتها وتمريناتها من النصوص الأدبية السهلة، أو العبارات الجيدة التى تسمو بأساليب التلاميذ وتزيد من ثقافتهم وتوسع دائرة معارفهم بالاضافة الى ماتوضحه من القواعد اللغوية.

وهو رأى نجد صداه لدى القدماء من أمثال الكامل فى « المبرد » وابن خلدون فى « المقدمة » وأن تربط المادة اللغوية التى تختار لشرح القواعد أو التطبيق عليها بميول التلاميذ ومصادر اهتمامهم ونواحى نشاطهم فى هذه المرحلة.

ـ أن يقتصر فى معالجة المسائل عل تحقيق الهدف المنشود من دراسة القواعد وهو عصمة اللسان والقلم من الخطأ، فلا يسرف المدرس على نفسه وعلى تلاميذه بالتعرض للتفاصيل التى لاتتصل اتصالا مباشرا بهذه الغاية المرسومة.

ـ أن يقتصد فى استخدام المصطلحات والاقتصار فيها على القدر الضرورى.

ـ أن يكثر من التدريبات الشفوية المرتكزة على أسس منتظمة من المحاكاة والتكرار حتى تتكون العادة اللغوية الصحيحة عند التلاميذ وتحل محل النطق المحرف، وحتى تكون استقامة ألسنتهم وصحة أساليبهم استجابة سريعة طبيعية للقواعد التى يدرسونها دون جهد أو معاناة فى استيحاء هذه القواعد واستحضارها فى الذهن.

هذا ماذكرته المناهج المعدلة. وهو كلام جميل يمثل اتجاها متطورا مرغوبا فى تدريس النحو. ولكن على الرغم من مرور سنوات طويلة فى هذه المناهج المعدلة وعلى الرغم من أن هذه المناهج وضعت حلولا مناسبة لمشكلة تدريس النحو فان المشكلة مازالت قائمة.

ويرجع هذا بالطبع الى ان ماوضعته المناهج المعدله من حلول ظل الى حد بعيد فى الاطار النظرى ولم يأخذ طريقة الى مجال التطبيق والممارسة. ونحن لايمكن أن نتصور تغير طرق وأساليب تدريس النحو لمجرد صدور مناهج معدلة أوجديدة أو مطورة وانما ينبغى أن يتعدى ذلك الى واقع العمل المدرسى نفسه بحيث يصبح أسلوبا وطريقة للمعلمين.

وهذا يتطلب تهيئة أذهان المعلمين للأساليب الجديدة وتدريبهم عليها. كما يتطلب أيضا من واضعى كتب تدريس النحو والقواعد أن يسيروا على نفس الاتجاه. واذا نحن أردنا

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

أننعالج المشكلة من أصولها فينبغى أن نتجه أيضا الى الكليات والمعاهد التى يتخرج منها معلمو العربية لكى تطور هذه المعاهد من أساليب اعدادها لمعلم اللغة العربية بما يتمشى مع الاتجاهات الحديثة التى يتحقق معها مانرمى اليه من التحسين والتطوير.

ان الطريقة التى يعالج بها تدريس النحومازالت تسير على النهج القديم الذى ينظر الى تدريس القواعد على أنه غاية فى ذاته وليس وسيلة لتقويم اللسان والدليل على ذلك أن بعض القواعد مازالت تدرس على هذا المنوال. خذ مثلا قاعدة الاسم بعد لاسيما يجوز فيه الرفع والنصب والجر وهذا يعنى أنه لامجال للخطأ طالما أن الحالات الثلاثة جائزة وصحيحة فاذا كان الأمر كذلك فلماذا تدرس القاعدة اذن؟ وخذ مثالا آخر قاعدة المفعول معه. نجد أن الكتب فى معالجتها لهذه القاعدة تورد أمثلة قليلة ومحدودة ومعروفة مثل سهرت والمصباح أوسرت وشاطىء النيل. ولاتورد أى أمثلة من القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف أو فصيح أقوال العرب. فاذا كان الأمر كذلك واذا كانت الامثلة مفتعلة الى هذا الحد الا يثير ذلك تساؤ لا حول الغرض من تدريس مثل هذه القاعدة؟ وخذ غير ذلك أيضا تدريس أساليب التعجب والتأويلات والتخريجات التى تعرب بها صيغة « ما أفعل » والاسم » بعدها وغير ذلك كثير. وما أردته من ذكر هذه الأمثلة أن أبين مدى الحاجة القائمة الى مراجعة تدريس النحوفى مدارسنا لامن حيث الطريقة والأسلوب فحسب بل ومن حيث الموضوعات ومدى جدواها وفائدتها فى تقويم اللسان. اننا أيضا نحتاج مرة أخرى الى العودة الى ماذكره النابهون من القدماء من أمثال المبرد وابن خلدون وغيرهما عن الموضوع وأعتقد أنه فيه زاداً لكل محاولة جادة مخلصة.

مراجع الدراسة

١ ـ ابن خلدون : المقدمة

٢ ـ المبرد : الكامل

٣ ـ ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ـ الخانجى ١٩٦٠ .

٤ ـ حفنى ناصف وآخرون : قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ـ المطبعة الاميرية سنة ١٩٠٦ .

٥ ـ أمين الخولى : مناهج تجديد فى النحو والبلاغة ـ دار المعرفة .

٦ ـ محمود رشدى خاطر وآخرون : تحرير النحو العربى ـ دار المعارف سنه ١٩٥٨ .

٧ ـ محمد منير مرسى : التربية الاسلامية أصولها وتطويرها فى البلاد العربية ـ عالم الكتب القاهرة سنه ١٩٨٢ .

٨ ـ المناهج المعدلة فى المرحلة الاعدادية ـ وزارة التربية والتعليم سنه ١٩٦٦ .